**تاريخ المملكة الحديث والمعاصر**

**عزة الجهني**

**الموضوع الرابع:**

**اتساع الدولة السعودية الأولى خارج نجد ونهايتها المؤقتة**

**قراءه عامه في التطور السياسي الذي أعقب قيام الدولة السعودية الأولى عام 1157 وتوحيد جنوب وشمال نجد، ومن ثم توسع الدولة الناشئة القوية خارج حدود نجد، ثم التطورات التي أدت إلى نهايتها المؤقتة على يد قوات محمد علي باشا عام 1233 حتى عودتها في الدولة السعودية الثانية 1240**

**أولاً / دراسة مرحلة توسعها خارج حدود نجد ويشمل ذلك التوسع في كل من كل من:**

1. **شرق البلاد (شرقي نجد والجزيرة العربية)**
2. **الحجاز (غرب نجد)**
3. **جنوب غرب نجد والجزيرة العربية**

**شرقي البلاد ( التوسع في الأحساء والصراع بين قادة الدرعية وزعماء بني خالد.**

كان العداء التقليدي بين الدرعية وزعماء بني خالد مستمر في تلك الفترة، منذ أن أعلنت الدولة السعودية الأولى وقوفها لجانب دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ومن ثم موقف أمراء بني خالد المعارض للشيخ ودعوته، وبالتالي عدائهم لكل من ناصر هذه الدعوة وأولهم قادة الدولة السعودية الأولى، ولذلك ومنذُ عام 1172بدأت هجومها المنظم على إمارة الدرعية ونجد كافه ، والتي كانت قد أثبتت وجودها سريعاً في نجد وتدافع عن كيانها الناشئ كما سبق شرحه.

- في عام **1198** أخذت الدرعية زمام المبادرة بالهجوم على بني خالد بدلاً من الدفاع لسببين

1. تجدد الصراع الداخلي بين زعماء بني خالد
2. نجاح فالدرعية في توحيد نجد بأكملها وفرض سيادتها على بقية القوى النجدية.

ولذلك وضع قادة الدرعية هدفهم الأساسي وهو شن الهجوم على الأحساء، وإدخال شرق البلاد في نفوذهم وجعل الأمر موضع التنفيذ نتيجة لعدة أسباب:

1. العداء القديم من قبل زعماء بني خالد للدرعية وذلك بسبب مناصرتها دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب
2. الاستمرار في مهام نشر الدعوة الإصلاحية التي التزم قادة الدرعية بها منذ تحالفهم مع الشيخ محمد بن عبد الوهاب بناء على (ميثاق الدرعية) 1157.
3. تعزيز شعور القوة والثقة بالنفس من خلال قدرة الدولة السعودية وقادتها على القيام بالعمليات العسكرية الناجحة والداعمة لمشروعها في توسع الدولة.
4. الأهمية الاقتصادية (زراعية وتجارية) لمنطقة الاحساء وموقعها المتميز على الخليج
5. استقلال المنطقة عن نفوذ الدولة العثمانية المباشر في ذلك الوقت، والذي جنبهم الصدام معها وبالتالي الاحتفاظ بطاقة الدولة القتالية والتركيز على أهدافها المرحلية.

**1198** بدأت أول الغزوات التي قادها عبد العزيز بن محمد بن سعود ولكن نتائجها سريعة ومحدودة الأثر، أعقب ذلك طلب الزعيم الخالدي سعدون بن عريعر الحماية منه ضد أخيه وحلفائهم من قبائل المنتفق في العراق.

 والحقيقة أن انشغال زعماء بني خالد بالمنافسات الداخلية جعل الدرعية ترسل الحملة الأولى لغزو الاحساء 1202، فقام سليمان بن عفصيان قائد العمليات العسكرية هناك بهجومين، الأول هاجم فيه قرية الجشة ،والثاني هاجم فيه ميناء العقير، ثم قام ببعض الغزوات السريعة للمناوشة والاستطلاع.

**1204** قام سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود بحملة منظمة ضد بني خالد على أرض الاحساء نفسها ومعه الزعيم الخالدي زيد بن عريعر وكسب المعركة كاملة ثم عاد سنة 1206 وهاجم القطيف.

كما دارت معركة أخرى هامة بين براك بن عبد المحسن وحلفاءه من عشائر المنتفق العراقية والأمير سعود بن عبد العزيز الذي انزل بخصمة خسائر فادحة كان من نتائجها ما يلي:

1. إدراك أهل الأحساء عدم جدوى معارضة قادة الدرعية وقوتها المتنامية
2. مسارعة (زعماء الاحساء) للدخول في ولاء الدولة السعودية وطاعتها.

تتابعت بعدد ذلك الأحداث بانقلاب الزعيم الخالدي زيد بن عريعر وانسحابه من الولاء السابق للدرعية، فسير سعود بن عبد العزيز جيش كبير تولى شن هجوم شامل على قرى ومدن الاحساء لم ينهيه إلا قبول الدرعية للوساطة بالانسحاب والتي قام بها ( محسن بن براك ) الذي كان قد انضم لقيادة الدرعية نكاية بخصمة وخصم الدرعية الخالدي زيد بن عريعر وتم الانسحاب من الأحساء بضمانه إعلان ولائهم للدرعية ،ولكن أهل الاحساء تراجعوا بعد ذلك وانقسموا بين مؤيد للدرعية ومعارض ، مما اضطر قيادة الدرعية إرسال حملة أخرى بقيادة إبراهيم بن عفصيان الذي اخرج زيد بن عريعر من الأحساء وضمها بالكامل لنفوذ الدرعية، وعين بن براك بن عبدالمحسن أميرعليها من قبل الدرعية، ورغم ذلك لم يكف أهالي الاحساء عن محاولات الخروج على الدرعية، فاستمروا في ثوراتهم ضدها ومنها ثورات 1210 التي اضطرت الدرعية إرسال نجدة لتخمد الثورات بقيادة بن عفصيان، ثم خرج الأمير عبدالعزيز بن سعود بنفسه لها وأخضعها بالقوة ونصب على الأحساء أمير غير الخوالد.

**نتائج دخول اقليم الأحساء في نفوذ الدولة السعودية الأولى:**

1. اتساع مساحة الدولة السعودية وقوتها وهيبتها
2. تمهيد الطريق لنشر الدعوة الإصلاحية في مناطق خارج حدود نجد
3. ظهور الدولة السعودية على مسرح السياسة في الخليج العربي خاصة من قبل القوى الخارجية
4. وجود حدود مباشرة للدولة السعودية الأولى مع إمارات الخليج العربي وممثلي الدولة العثمانية
5. موقع استراتيجي بحري للدولة السعودية الأولى جعل لها منفذ تجاري مباشر على البحر.

**التوسع في الغرب ( الحجاز)**

كان الأشراف هم الأضعف نفوذ من زعماء بني خالد في نجد نتيجة للبعد ولضعف وجود الدولة العثمانية في نجد وانشغال الاشراف في الحجاز بالمنافسات الداخلية بينهم، غير أن ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب كانت سبب في لفت أنظار الأشراف لها وللدولة السعودية الأولى، وتختلف الروايات في كيفية معرفتهم بها ولكن الراجح أن شريف مكة أخبر السلطان العثماني بخبر الدعوة وقد بنى معلوماته على السماع بها مما يرجح أنها وصلت لهم مشوهه.

(راجع رواية ابن دحلان وابن عزي وما ذكرة ابن بشر ) ص132/ 134

وعموماً كانت قصة منع الاشراف للنجديين من أداء فريضة الحج لأكثر من مره ما هي إلا ذريعة ووسيلة لاختلاق الأسباب المقنعة أمام العالم الإسلامي لمحاربة الدعوة والدولة السعودية التي ناصرتها، وكان ذلك بشكل كبير في عهد الشريف غالب بن مساعد سنة 1203 والذي ما أن فرغ في السنتين الأولى من حكمة في تثبيت ملكة حتى التفت الى محاربة الدعوة الإصلاحية والدولة.

ورغم وجود الفتوى من علماء مكة بجواز قتال الشيخ واتباعه وإعطاء الدولة العثمانية الشريف الضوء الأخضر للقيام بهذه الخطوة، الا أن هذا الأمر تأخر لاعتقاد الاشراف أن المعارضة النجدية قادرة على القضاء عليها، أو أن زعماء بني خالد قادرين على فعل ذلك خاصة أن منع الحج من قبل الشريف سيقوي من قوة المعارضة للدرعية في نجد .

س/ لماذا ا؟

ج/ لأنهم اعتقدوا أن منع الحجاج سوف يثير ضد الدرعية موجه من الغضب لاعتبارها متسببه في ذلك الأمر

وعندما استولت الدولة السعودية الأولى على الاحساء أدرك الشريف قوتها وخطرها واحتمال وصول تأثيرها على أتباعه في الحجاز، ولذلك جهز الشريف غالب حملة عسكرية بقيادة الشريف ناصر الذي هزم في معركة الجمانية وعاد للحجاز بينما غنم السعوديون الكثير.

معركة الجمانية كانت مهمة لأنها مهدت لتوغل قوات الدرعية في الحجاز حيث اصبح موقف الاشراف دفاعياً، ولذلك أرسل الشريف غالب يطلب من الدرعية إرسال علماء لمناقشة الأمور الدينية فارسل حمد بن معمر ولكن لم يحدث أي تقارب، ونتيجة لتطور بعض الأمور السياسية التي اضرت بالشريف ونفوذه ومنها ما يلي:

1. انضمام قبائل عتيبة والبقوم للدرعية
2. هزيمة الشريف غالب بن مساعد في الخرمة
3. وفشل الحملة العثمانية في القضاء على الدرعية من خلال والي العراق ومقتل قائدها وتوغل سعود بن عبد العزيز في العراق.
4. استيلاء نابليون على مصر وتهديده الحجاز
5. نقص الأموال عند الشريف وحاجته لها خاصة بعد تخلي السلطان عن مساعدته وحاجته لتحصين جدة .

نتيجة لذلك جنح الشريف غالب لمصالحة الدرعية في هدنه مدتها 6 أعوام سمح للنجدين خلالها بالحج عام 1213، في عام 1217 حدثت انتكاسة في العلاقات بينهما على اثر خروج بعض القبائل وانضمامها للدرعية وكانت ضمن مناطق الشريف، ثم ازداد الأمر سوء عندما ارسل الشريف المفاوض عثمان المضايفي صديقة والمقرب منه الذي أنضم بدوره للدرعية وكان مكسب كبير للدرعية وقادتها لقربه من الشريف غالب بن مساعد.

أتخذ المضايفي بلدة العبيلاء مركز له بين الطائف وتربه بينما انسحب الشريف غالب بعد ضغط عليه وعاد لمكة، وكان انضمام أمير عسير للدرعية عامل شجع سعود بن عبدالعزيز على السير بجيشه الى مكة المكرمة وأنضم للمضايفي وعسكر خارج مكة ، وانسحب الشريف الى جدة وترك اخاه عبدالمعين الذي سارع لمراسلة سعود ومصالحته على ان يبقى امير لمكة مقابل دخوله في تبعية الدرعية فدخل سعود مكة دون قتال سنه 1218وقام بإزالة بعض المظاهر المخالفة ، ثم تقدم نحو جدة ولكن لقوة تحصين جدة عاد الى مكة دون دخولها ،وترك سعود حامية في الحجاز وانسحب الى نجد عائدا فتقدم الشريف غالب وانسحبت الحامية السعودية الذي حاول استعادة ما فقده هناك ،في عام 1219 امر سعود بن عبدالعزيز ببناء قلعة في وادي فاطمه لرصد حركات الشريف الذي هزم وعاد بفلوله الى مكة ، فتبعه جيش سعود من الاتباع الموالين للدرعية وهنا جنح الشريف غالب للمصالحة على ان يبقى في امارته، خاصة بعد أن استسلمت أيضا المدينة لهم سنة 1220.

**عوامل ساعدت على انتصار السعوديين في الحجاز**

1. قوة إيمان القادة السعوديين بقضيتهم التي يقاتلون من أجلها
2. الدولة السعودية كانت في مرحلة القوة عندما دخلت الصراع مع الاشراف
3. تخلي عثمان المضايفي عن الشريف غالب بن مساعد
4. انضمام عدد من قبائل الحجاز للدرعية
5. تدهور الوضع الاقتصادي للشريف غالب بن مساعد
6. عدم مساعدة الدولة العثمانية للشريف غالب بن مساعد

**نتائج دخول قوات الدولة السعودية الحجاز**

1. ازدياد مساحة الدولة السعودية شرقاً وغرباً
2. زيادة هيبتها ونفوذها
3. توقف الحج حرم الحجاز من الموارد المالية مما أضعف اقتصاد الحجاز
4. احراج الدولة العثمانية التي جعلتهم يفكرون بإسناد محاربة الدرعية من قبل حاكم مصر.

**جنوب غرب البلاد**

1. عسير

بعد الحجاز امتدت الأنظار على عسير، فأرسلوا جيش لاحتلال بيشة التي حاول الشريف غالب حمايتها، ولكنه هزم وانتصرت عليه لقوات السعودية في معركة الخرمة والتي من أهم نتائجها اضطرارالشريف غالب للصلح ودخول عدد من قبائل عسير في الحكم السعودي ن توجهوا بعد ذلك لبيشة التي دخلت سلماً في طاعتها، وكان اقتناع امير عسير ومن معه بالدعوة الإصلاحية عامل ساعد على دخول عسير وسهول تهامة في نفوذها.

1. المخلاف السليماني (جيزان)

سبقت الدعوة الإصلاحية لجيزان وتوافقت مع أراء الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني، كان ذلك على يد أحمد بن حسين الفلقي من صبيا وأمير شعبه عرار بن شار ولكن تعرضت لمعارضه لم تنجح في مقاومة التوسع السعودي، ولذلك اضطرت للمصالحة. فاز حمود أبو مسمار وهو من الاشراف بالزعامة في المخلاف السليماني فعزز ذلك من قوة المعارضين لدعوة الشيخ بن عبد الوهاب، إلا أن مقاومته لم تنجح في الحد من النفوذ السعودي المتنامي للسعوديين في المخلاف السليماني، خاصة بعد أن رفض أمام صنعاء التدخل في الصراع فأعلن حاكم ابو عريش السمع والطاعة للدرعية، أدى هذا الامر الى غضب الشريف حمود من إمام صنعاء وعلى أمير عسير الموالي للسعوديين، فضل مهاجمة بعض المناطق التابعة لأمام صنعاء للظهور امام الدرعية بمظهر القائد الكفوء ماما يستوجب فك ارتباطه الأدري بعسير.

نجاح الشريف حمود في الانفصال عن عسير أدى لتوتر العلاقة بينهما ، وظل التنافس قائم بينهما رغم محاولة قادة الدرعية حل المشاكل بينهما، وأمتد هذا التنافس الى المناطق اليمنية .انكشاف تواصل الشريف حمود بإمام صنعاء أدى لهجوم امير عسير على الشريف حمود ودارات رحى معارك طاحنه قتل خلالها أمير عسير ولكن الحروب أستمرت مع الأمير الجديد لعسير الذي تمكن من انتزاع اللحية والحديدة من الشريف غالب الذي سارع لمصالحة السعوديين نتيجة ضعف موقفة العسكري ، وبذلك دان المخلاف السليماني لكامل الدولة السعودية الأولى .

**نجران**

العلاقة كانت سيئة بين حاكم نجران والدرعية بسبب الغزو السابق أضف لذلك نجدة امير نجران لمعارضي السعوديين في وادي الدواسر، نتيجة عدة حروب مستمرة بنى السعوديون قصرا لمضايقة النجرانين عسكرياً واقتصادياً، عموما لم تخضع نجران للنفوذ السعودي الكامل وأن كانت هناك قوة لبعض اتباعها في نجران.

**نهاية الدولة السعودية الأولى**

دخول الحجاز في نفوذ الدرعية سبب في قرار الدولة العثمانية مهاجمة الدرعية واسترجاع الحجاز من السعوديين، لأن دخول الحجاز في حوزة الدرعية ضربة معنوية لهيبتها الدينية والسياسية في العالم الإسلامي، خاصة وأن شريف مكة الذي دخل في ولاء الدرعية لم يكن مقتنعاً بهذا الأمر ومستعد لاي فرصة للقضاء عليهم ، بالإضافة إلى أن منع الحجاج النجدين أضر بموارد الحجاز آنذاك، مما جعل الحجاز متهيئا لتدخل عسكري ضد الدرعية.

-أوكل السلطان العثماني مهمة استرجاع الحجاز من الدرعية لوالي مصر محمد علي باشا الذي بدأ يعد للحملة لمدة 4 سنوات مما يعكس أهميتها بالنسبة للعثمانيين، وأن نتائجها ستؤثر على بقاء محمد على في الحكم أو زواله.

من استعدادات الحملة المصرية على الدرعية وتجهيزاتها:

1. اسطول بحري مكون من 28 سفينة
2. مستودعات في السويس للتموينات
3. التواصل مع شريف مكة (الشريف غالب بن مساعد )
4. ترتيب أوضاعه الداخلية لتأمين حكمة في مصر في حالة غيابه أو انشغاله بالحملة

**حملة محمد علي باشا بقيادة ابنه طوسون**

- بدأت سنة 1226ووصلت براً وبحراً إلى ينبع بعدد 8000مقاتل واستولت عليها، ومنها تحرك طوسون باتجاه المدينة المنورة وفي طريقة استولى على بدر، إلا أنه تلقى هزيمة أمام القوات السعودية في وادي الصفراء أجبرت طوسون على التراجع الى ينبع منتظراً تعزيزات جيدة من مصر مع الأموال التي يستميل بها بعض القبائل مما ساعد على دخوله المدينة مجددا مستفيداً من انسحاب القوات السعودية وانضمام القبائل الحجازية لطوسون الذي دخل المدينة بعد حصار الحامية السعودية في قلعتها وضربها بالمدفعية فاستسلمت عام 1227

**آثار استيلاء قوات محمد علي باشا على المدينة**.

1. رفع روح الجيش المصري وزيادة القوة بانضمام القبائل الحجازية إليهم.
2. فتح الطريق أمام قوات طوسون للتقدم في بقية مدن الحجاز
3. التقدم نحو جدة والسيطرة عليها بالاتفاق مع الشريف غالب بن مساعد
4. دخول مكة المكرمة 1228
5. انسحاب الجيش السعودي بقيادة سعود بن عبد الله من مكة الى خرمه ثم رنية بمعنويات منخفضة
6. تقدم قوات طوسون الى الطائف والاستيلاء عليها.
7. عودة الحجاز على هيبة الدولة العثمانية ونفوذها
8. رغبة طوسون في التوسع في نجد ولذلك فأرسل حملة للحاكية فتربه واخضعهما.

**موقف قيادة الدرعية من انتصارات حملة طوسون**

1. ترتيب قواته ومحاولة استعادة الحناكيه
2. مهاجمة القبائل التي خضعت وساعدت قوات طوسون
3. مهاجمة ضواحي المدينة المنورة ووادي الصفراء
4. تجهيز ودعم حملة سعودية مركزها تربه
5. الاشتباك مجدداً مع قوات طوسون والانتصار عليها في تربه
6. مهاجمة الطائف عن طريق عثمان المضايفي الذي لم ينجح هناك
7. ضعف قوات محمد علي رغم كامل تجهيزاتها أمام قوات الدرعية
8. قيادة محمد علي بنفسه لحملة جديدة ونفي الشريف غالب بن مساعد
9. فشلت محاولته لاستعادة تربه بقيادة طوسون والشريف راجح.
10. انضمام الشريف راجح لقوات الدرعية في تربه والشريف يحيى الى تهامة لعدم ثقتهم بمحمد علي باشا ونواياه تجاه الاشراف بعد نفي الشريف غالب بن مساعد
11. ازداد موقف قوات محمد علي بعد خسارتهم القنفذة من القوات السعودية
12. انسحاب محمد علي الى الطائف وبقاءه هناك يعيد ترتيب قواته ويطلب المدد من مصر.

**الموقف العسكري والسياسي في الحجاز بعد وفاة الامام سعود بن عبدالله 1229 ونهاية الدولة الأولى من مراحل تاريخ المملكة العربية السعودية.**

وفاة الامام سعود بن عبدالعزيز شكلت أثر في نفوذ الدرعية وقوتها وأضر بخططها التوسعية ومقاومتها للحملات المصرية، لأن إبنه عبدالله بن سعود لم يكن بقوته وخبرته وحزمه السياسي مما اثر على قوة موقف الدرعية السياسي والعسكري، ففي 1230 تمكنت قوات محمد علي باشا من دخول رنية وبيشة وتربه ومناطق أخرى من عسير، وبينما عاد محمد علي الى مصر استمرت قواته تواصل تقدمها في غرب نجد حتى وصل القصيم التي التقاه عندها عبدالله بن سعود ودارت مناوشات لم تحسم مما أدى الى عقد صلح بينهما تضمن الشروط الأتية:

1. وقف الحرب وجلاء قوات طوسون عن نجد
2. تأمين تنقل قوات الطرفين في كافة المناطق
3. موافقه محمد علي باشا بنفسه على هذه البنود

عاد طوسون الى مصر ولم يوافق محمد علي باشا على المصالحة إلا بحضور الإمام عبد الله بن سعود لنفسه الى القاهرة ولكن الامام رفض لعلمه بالهدف من ذلك.

نتيجة لذلك جهز محمد علي باشا حملة اسند قيادتها لابنه إبراهيم، وصلت الحجاز في 1231 الذي بدأ المناوشات العسكرية قرب المدينة المنورة وبعد أن انضمت له اعداد كثيرة من القبائل هناك اتجه للقصيم، الذي سبقه اليها الإمام عبد الله بن سعود بمن معه من المناصرين.

اشتبكت قوات إبراهيم والقوات السعودية في أطراف القصيم وكان الكفة ترجح لصالح قوات إبراهيم باشا الذي واصل سيره للرس، ورغم تحصنها واستماله أهلها في الصمود لمدة 3 أشهر فشل دخول الرس أضعف الأمل في القضاء على الدولة السعودية الأولى ولكن طول المدة وقلة المؤنة جعلت أهالي الرس يطلبون الصلح وفقا للشروط الأتية

1. رفع الحصار عن مدينة الرس
2. عدم دخول قوات إبراهيم باشا الرس
3. خروج الحامية السعودية بأسلحتها
4. تقف الرس على الحياد من مصير عنيزة

بعد ذلك انسحبت القوات السعودية من مدينة عنيزة متجهة لبريدة، ومنها انسحبت الى الدرعية بعد تقدم قوات إبراهيم الى عنيزة وبقية بلدان القصيم.

تقدمت قوات إبراهيم باشا بعد حصوله على امدادات جديد وزيادة اتباعه الى الوشم ثم الدرعية، وبعد احتلال قوات إبراهيم لضرماء أصبح الطريق مواتي امام الدرعية. حاصرت القوات المصرية الدرعية لمدة 6 شهور وكان لطول مده الحصار أثره في إضعاف القوات السعودية التي عانت من نقص المؤن، وهروب عدد من الاتباع الموالين له. نتيجة لهذا الموقف الصعب بدأ الامام عبد الله بن سعود مفاوضه إبراهيم باشا رغبة في تجنيب الناس القتل والدرعية الدمار فاتفق معه على ما يلي:

1. تسليم نفسه لقوات إبراهيم باشا
2. عدم الاضرار بالدرعية أو الناس فيها
3. استسلم الامام عبد الله بن سعود في 1233 وبعث به الى القاهرة ومها الى إسطنبول وقتل فيها
4. بهذه الاحداث المؤلمة انتهت مرحلة سياسية من تاريخ الدولة السعودية عام 1233للهجرة.

**عزة الجهني**